

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الانتصار الموهوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِطَهَارَةِ الْجَنَانِ، وَنَهَا عَنِ الْفُحْشِ وَبَذَاءَةِ اللِّسَانِ، أَحْمَدُ  
سُبْحَانَهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأَتَشَّى عَلَيْهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ،  
وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ مُتَّمِّماً لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَدَاعِيَا بِالْكَلْمَةِ الطَّيِّبَةِ وَنَاهِيَا عَنْ مُثِيرَاتِ  
الشَّقَاقِ، وَعَلَى الْهِ وَصَاحِبِهِ الْغُرُّ الْمَيَامِينِ، وَمَنْ تَبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَ عِبَادَ اللَّهِ:

اتَّقُوا اللَّهَ وَرَافِبُوهُ فِي السُّرِّ وَالْعَلَنِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَمَا تَنْتَطِقُونَ وَمَا  
تَصْنَعُونَ، وَقَدْ جَعَلَ عَلَيْكُمْ مَلَائِكَةً حَافِظِينَ، كِرَاماً كَاتِبِينَ، وَاعْلَمُوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّكُمْ  
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا سَوْفَ تَقْفَوْنَ عَلَى مَشَاهِدَ مُتَكَرِّرَةٍ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ، يُثُورُ فِيهَا بَيْنَهُمْ عِرَاكُ  
بِاللِّسَانِ، لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ يَدْفَعُكُمْ إِلَى إِعْذَارِ الْطَّرَفَيْنِ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لَوْنٌ مِنَ السَّبَابِ  
الْجَافِ، تَبَعَّثُ عَلَى إِثْرَةِ نَقْعَهُ كَلْمَةً هَزِيلَةً، أَطْلَقَهَا أَحَدُ الْطَّرَفَيْنِ فَصَادَفَتْ ضَعْفًا فِي عَقْلِ  
الآخَرِ، فَانْطَلَقَ يُرْعِدُ وَيُزْبِدُ وَكَانَهُ يُنْذِرُ بِزِلْزاَلٍ عَظِيمٍ. إِنَّ هَذِهِ الْكَلْمَاتِ الْهَزَالِ، كَانَ يَجُبُ  
عَلَى الْعُقَلَاءِ أَنْ يَتَرَفَّعُوا عَنْهَا، وَأَنْ يَصْنَعُوا بِنُفُوسِهِمْ عَنْ سَفَافِهَا؛ فَلَيْسَ لِالسَّبَّ وَالشَّتَمِ  
شَرِيعَةٌ تَقْبِلُهَا، بَلْ اتَّقَقَ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنَّهُ لَا يَلْجَأُ إِلَى السَّبِّ إِلَّا شَخْصٌ فَقَدَ الْأَدَابَ  
وَالْأَخْلَاقَ، وَلَذَلِكَ سَارَعَ الْإِسْلَامُ إِلَى التَّرْفُعِ بِاتِّبَاعِهِ عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِرِ، وَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ  
يَمْشُوا بَيْنَ النَّاسِ سَادَةً عُقَلَاءَ، فَإِذَا مَا امْتَدَّتْ إِلَيْهِمْ كَلْمَةً سِيَّئَةً اصْطَدَمَتْ بِالصُّخُورِ  
الْإِيمَانِيَّةِ الْعَالِيَّةِ؛ فَتَفَتَّتْ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثْرٌ. نَعَمْ - أَخِي الْمُسْلِمِ - إِنَّ هَذَا الَّذِي أَطْلَقَ الْكَلْمَاتِ  
النَّابِيَّةِ الْهَزِيلَةِ جَاهِلٌ، لَا يَسْتَحِقُ أَنْ تَلْتَفَتَ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا يَرْفَعُكَ عَنْ مُسْتَوَاهُ الْخُلُقِيِّ  
وَالسُّلُوكِيِّ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَّا وَإِذَا خَاطَبُهُمْ

الْجَهَلُونَ قَالُوا سَلَّمَا) (١)، إِنَّ الشَّيْمَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَفْوَاهِ الْجُهَلَاءِ، لَيْسَ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى اخْتِرَاقِ الْأَجْسَامِ الصُّلْبَةِ، إِنَّمَا تَخْتَرِقُ أَجْسَادَ الْضُّعَافِاءِ، فَإِذَا تَرَاجَعَ الْمَرْءُ عَنْ جَسْمِهِ الصُّلْبِ، وَتَحَوَّلُ إِلَى جَسْمٍ رَخْوٍ ضَعِيفٍ، أَحْدَثَتْ فِيهِ الشَّيْمَةُ تُقْوِيَّاً سَوْدَاءً، وَانْدَفَعَ يَرْدُ بِأَمْثَالِهَا حَمَماً حَارِقَةً، لَا يُوقِفُ سُيُولُهَا إِلَّا الْعِرَاقُ الْيَدَوِيُّ أَوِ السَّلاَحُ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : ((الْمُسْتَبَانِ شَيْطَانٌ، يَتَهَارَانِ وَيَتَكَاذِبَانِ))، وَمَعْنَى يَتَهَارَانِ: أَنْ يَدْعِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَاطِلًا عَلَى صَاحِبِهِ. وَقَدْ عَلِمَ الْإِسْلَامُ الْمُؤْمِنُ أَنْ يَظْلَمُ هُوَ الْعَاقِلُ دَائِمًا مَهْمَا ثَارَ صَاحِبُهُ وَأَرْعَدَ، فَقَدْ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ يَسْبُ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَيَبْلُغُ فِي سَبِّهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاكِنٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا غَضِبَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَخَذَ يَرْدُ عَلَيْهِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَانْصَرَفَ، فَلَحِقَهُ الصَّدِيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَسْبُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا ذَهَبَتْ أَتَكَلَّمُ قُمْتَ! فَقَالَ ﷺ: ((إِنَّ الْمَلَكَ كَانَ يَرْدُ عَنِّي، فَلَمَّا تَكَلَّمَتْ ذَهَبَ الْمَلَكُ وَوَقَعَ الشَّيْطَانُ؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أَجْلِسَ)). نَعَمْ - أَيُّهَا الْأَخُو الْكَرِيمُ - قَدْ تَسْمَعُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنْ يَسْبُنِي، لَكِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ يَبْغِي أَلَا يُزْعِجَ كَثِيرًا؛ لَأَنَّكَ أَوْلًا: الْأَعْقَلُ وَالْأَرْفَعُ، وَثَانِيًا: لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ تَتَوَلَّ الرَّدَّ عَنْكَ، وَثَالِثًا: لِأَنَّ حَسَنَاتِكَ تَرْدَادُ بِذَلِكَ وَتَعْظُمُ مِنْزَلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ)) أَيْ إِنَّ الْإِثْمَ عَلَى مَنْ يَبْتَدَئُ بِالسَّبِّ، إِلَّا إِذَا اعْتَدَ الْآخَرُ فِي رَدِّهِ عَلَيْهِ. إِنَّ السَّبَّ حِجَارَةٌ يَرْمِيهَا الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَلَوْ شَعَرَ لِتَعْقُلٍ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِي بِالْكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ)). إِنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَتَرَفَّعُ عَنِ السَّبِّ؛ فَلَا يَرْضَاهُ خُلُقًا، وَلَا يَقْبَلُ بِهِ سُلُوكًا، وَلَا يَسْمَحُ لِلآخَرِينَ أَنْ يَسْتَقْرُوْهُ فِيهِ، إِذْ السَّابُ يَعْدُ عَلَى الْآخَرِينَ كُلَّ عَيْبٍ حَتَّى التَّافِهَ مِنَ الْأُمُورِ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ كَرَمَهُ وَجَعَلَهُ مِنْ أَفْاضِلِ النَّاسِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ سَبَابًا وَلَا لَعَانًا)).

## أيُّها المُسْلِمُونَ:

إِنَّ السَّبَّ خُلُقٌ ذَمِيمٌ وَصَفَةٌ قَبِحَةٌ، تَبَعَتْ بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ، وَلَرَبِّمَا أَدَتْ سَبَّةً وَاحِدَةً عَلَى تَفَاهَتِهَا إِلَى إِشْعَالِ الْفَتْنَ وَإِثْرَاءِ الْمُشْكَلَاتِ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ السَّبِّ مُطْلَقاً، حَتَّى فِي حَالِ الدِّفاعِ عَنِ النَّفْسِ، بَلْ نَهَى حَتَّى عَنْ سَبِّ الْأَمْوَاتِ، حِرْصاً عَلَى نَظَافَةِ الْلِّسَانِ مِنَ الْقَبَائِحِ، وَدَرِءاً لِأَيِّ مَفْسَدَةٍ تَتَشَاءُّ مِنْ إِيْغَارِ النُّفُوسِ بِالْمُتُنَاهِراتِ، يَقُولُ ﷺ :

((لَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوُا إِلَى مَا قَدَّمُوا)), وَعِنْدَمَا جَاءَ عَكْرَمَةَ بْنُ أَبِي جَهْلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مُسْلِمًا بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ قَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَاحْتَضَنَهُ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَسْبُونَ أَبَا جَهْلٍ وَيَذْكُرُونَ قَبَائِحَهُ، فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : ((لَا تَسْبُوا أَبَاهُ؛ فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيِّ)). لَقَدْ كَانَ أَبُو جَهْلٍ حَقِيقَاً بِالشَّتَمِ، لَأَنَّهُ أَذَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ الصَّفَاتُ الْذَمِيمَةُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْمُسْلِمُ الرَّازِينُ يَتَجَنَّبُ هَذِهِ الدِّنَيَا، وَيَعُودُ لِسَانَهُ الْعَفَافُ وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ، وَهَذَا الَّذِي وَجَهَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّكُمْ لَتَجِدُونَ ذَلِكَ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَفَارُونَ وَأَمْرَأَةَ نُوحٍ وَأَمْرَأَةَ لُوطَ، وَشَرَحَ لِلْعَالَمِينَ كُفُرَهُمْ وَطُغْيَانَهُمْ، لَكُنُوكُمْ لَا تَجِدُونَ فِي الْفَاظِهِ الْعُلَيَا سَبَّا وَلَا شَتَمَّا، فَتَرْبِيَةُ الْأُمَّةِ عَلَى هَذَا الْخُلُقِ الرَّاقِي يَصْنَعُ أَجْمَلَ الْمَظَاهِرِ الْحَضَارِيَّةِ فِي السُّلُوكِ وَالْتَّعَامِلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَهَكَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا تَصَفُّهُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : ((كَانَ خُلُقُ الْقُرْآنِ)). وَمَنْ أَخْلَقَهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَصِفُّ أَعْدَاءَهُ بِمَا يَحْمِلُونَهُ مِنْ مُؤَهَّلَاتِ عَقْلَيَّةٍ وَمَعْرِفَيَّةٍ، وَيَرْفُضُ مِنْ أَتَبَاعِهِ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا النِّكَايَةَ بِالْعَدُوِّ فُرْصَةَ النِّقْدِ الْمُفْضِيِّ إِلَيْهِ السُّخْرِيَّةِ وَالْاسْتِهْزَاءِ أَوِ السَّبِّ وَالشَّتَمِ، فَعِنْدَمَا عَادَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُعَايشُونَ لَذَّةَ الْاِنْتِصَارِ، وَيَحْمُدُونَ اللَّهَ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، وَفِي ذَلِكَ الْجَوَّ الْمُفْعَمِ بِالْأَرْتِيَاحِ اندْفَعَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لِيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَمْ نُلْقَ إِلَّا ضَعَافًا صُلْعَ الرُّؤُوسِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْفَوْرِ : ((بَلْ أُولَئِكَ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ)). إِنَّ مُؤَشِّرَ الْأَنْهَرِافِ عِنْدَ الْإِنْسَانِ لَيْسَ فُرْصَةً لِسَبِّهِ أَوِ التَّنَذُّرِ بِهِ، بَلْ هُوَ مَدْعَاءٌ إِلَى الْاشْتِغَالِ بِهِدَايَتِهِ وَنَصْحَهِ، هَكَذَا عَلَمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى وَهَارُونَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -

عندما وجّهُهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ: ﴿فَقُولَا لَهُ, قَوْلًا لِتَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(١)</sup>.

عباد الله:

إن لغة السب مرفوضة في حق الآخرين مهما كانت ملتهم أو عقيدتهم، وهو خلق تاباه النفوس الرذكية، وترفضه العقول الذكية، لكن بعض الناس - وللأسف الشديد - يسمح لنفسه أن يسب والديه بطريق الاستفزاز للطرف الآخر، ففي الخلاف الطويل أو القصير تطلق من الخصم سبة تتال من الوالدين، وتسرع في جرح مشاعرهم بالغيب، فما يكون من الطرف الآخر إلا أن يرد بمثلها وزيادة، وهكذا يصبح الوالدان هدفا لسهام الخصميين، وتصبح أعراضهما الظاهرة نهبة الأدب وشائن السلوك، يقول ﷺ : ((من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمها))، إن التفكير لحظة في هذا الأمر يجعل الإنسان يستعظم على الفور حدوث مثل هذا السلوك، لكن الحقيقة أن الناس يمارسون هذا وهم لا يشعرون، وفي هذا درس مهم في قضية ضبط النفس عند مثيرات الغضب واشتباكات الخصوم، حتى يظل اللسان بعيدا عن لغة السب في حق الأقارب والوالدين، لأن هذه المنطقة من أقوى الأسباب على استمرار الخصومة وخروجهما عن السيطرة، والله تعالى يقول: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا أَلَّا هِيَ أَحَسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون:

إن مما جاء الشرع بمعنى أن تحول العاطفة الدينية إلى مشروع للسب والشتائم في حق المخالفين في الدين، ظنا من المسلم أنه بذلك يكسب الأجر وينصر الدين، كلاما.. إن هذا المسلك لا ينتهي مع توجيهات الشرع الحنيف؛ درءاً لمفسدة السب والشتائم الله من قبل الجاهلين أولاً، وصيانة للخلق الإسلامي العام من الدنيا ولغة اللعن والسباب ثانياً، فالله

(١) سورة طه / ٤٤ .

(٢) سورة الإسراء / ٥٣ .

تعالى يقول: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَيْ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَنَتَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، بل إنك تلمح في الآية الكريمة رحمة من الله تعالى بأولئك الجاهلين، لأن سبهم الله تعالى سيعرضهم إلى نقمته وعقابه، فعليك يا أخي - أن تكون رحيمًا بالإنسان مهما كان، لعلك تهديه إلى صراط الله المستقيم، وقد وجَّه النبي ﷺ أمَّةَ إِلَى هَذَا الْخُلُقِ الْقُرآنِيِّ العظيم في التعامل، حتى مع العصاة من هذه الأُمَّةِ، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: ((إِذَا رأَيْتُمْ أَخَاكُمْ قَارِفَ ذَنْبًا فَلَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ، تَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَخْرِزْهُ، اللَّهُمَّ اعْنُهُ، وَلَكَنْ سُلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدَ - كُنَا لَا نَقُولُ فِي أَحَدِ شَيْئَنَا، حَتَّى نَعْلَمَ عَلَى مَا يَمُوتُ، فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ خَيْرًا، وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِشَرٍّ، خَفَنَا عَلَيْهِ عَمَلُهُ))، وروي أنَّ أبا الدرداء - رضي الله عنه - مر على رجل قد أصاب ذنبًا، فكانوا يسبونه، فقال لهم أبو الدرداء: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي بَئْرٍ، أَلَمْ تَكُونُوا مُسْتَخْرِجِيهِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَلَا تَسْبُوا أَخَاكُمْ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي عَافَكُمْ، قَالُوا: أَفَلَا نُبْغِضُهُ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَبْغَضَهُ عَمَلُهُ، فَإِذَا تَرَكَهُ فَهُوَ أَخِي)، ولو أنَّ المُسْلِمِينَ تَعَامَلُوا بَيْنَهُمْ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ لَزَالتْ مِنْ بَيْنِهِمْ أَحْقَادُ كَثِيرَةٌ، وَلَامَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلُّهَا جُسُورٌ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى.

فَانْقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَبْعِدُوا أَسْنَتَكُمْ عَنِ الْأَلْفَاظِ النَّابِيَّةِ وَكَلِمَاتِ السَّبَابِ، وَالزَّمُورِ  
كِلْمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْدُ﴾<sup>(٢)</sup>.  
أُقُولُ قُولِيَ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،  
وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

\*\*\* \*\*\* \*\*\*

الحمد لله رب العالمين، أنعم على الإنسان بنعمة البيان، وجعل له لساناً وشفتين، وهداه النجدين، ودعاه ليكون مع خير الفريقيين، وشهاد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) سورة الأنعام / ١٠٨ .

(٢) سورة ق / ١٨ .

لَهُ، وَنَشَهِدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَطْهَرُ النَّاسِ لِسَانًا، وَأَزْكَاهُمْ جَنَانًا، وَعَلَى  
اللهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.  
أَمَّا بَعْدُ، فِيَّا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ مِمَّا يَقِفُ الْمَرءُ أَمَامَهُ حَائِرًا أَنْ يَكُونَ الْأَوْلَادُ الصَّعَارُ فِلَذَاتُ الْأَكْبَادِ عُرْضَةً لِلسَّبِّ  
مِنَ الْوَالِدَيْنِ، فَلَا يَكَادُ يَرْتَكِبُ أَحَدُهُمْ خَطَاً إِلَّا وَيُقْدِفُ بِالسَّبِّ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَمَنْ هَذَا يَا  
تُرَى؟ إِنَّهَا الْأُمُّ أَوِ الْأَبُ؟ وَفِي غَالِبِ هَذَا السِّبَابِ تُهْمَةُ لِلْوَالِدَيْنِ أَنْفُسَهُمَا، فَقَدْ يُنْسَبُ الابنُ  
إِلَى أَحَدِ الْحَيَوانَاتِ أَوِ الْخَطَايَا الشَّائِئَاتِ، وَقَدْ يُرَافِقُ السَّبِّ دَعْوَةً بِالنَّكَالِ وَالْمُصَبِّيَاتِ، فَهَلْ  
هَذَا يُعْقِلُ أَيُّهَا الْوَالِدَيْنِ؟ هَلْ تَرَوْنَ هَذَا السُّلُوكَ لَائِقاً بِكُمَا؟ تُرَى مَاذَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْوَلَدُ  
كَمَا تَقُولُونَ؟ كَيْفَ يَكُونُ الْمَوْقُفُ؟ وَكَيْفَ تَكُونُ رِدَّةُ الْفَعْلِ؟ لَا شَكَّ أَنَّ سَبَّ الْوَالِدَيْنِ  
لِلْأَوْلَادِ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَلَبِ، لَكِنَّهُ مَسْلَكٌ خَاطِئٌ فِي التَّرْبِيَةِ، وَتَصَرُّفٌ مَرْفُوضٌ مِنِ  
الْمُسْلِمِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ وَالِدًا أَوْ ولَدًا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

مِنَ السَّبِّ الْمَذْمُومِ سَبُّ الْحَيَوانَاتِ الْعَجَمَاءِاتِ، فَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ بِالنَّهِيِّ عَنْهُ، إِذْ هُوَ  
مَسْلَكٌ شَائِئٌ يَتَجَاهِلُ مَعَهُ الْإِنْسَانُ نِعْمَةَ اللهِ، وَيَنْسَى فَضْلَهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا الْحَيَوانُ سُخْرَةٌ  
مِنْ أَجْلِكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَلِنَفْعِكُمْ وَخَدْمَتِكُمْ، إِكْرَاماً مِنَ اللهِ لَكُمْ، لِتَذَكَّرُوا اللهُ عَلَى مَا  
هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّتَّغْيَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا  
تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْبَحُونَ وَعِينَ شَرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أثْقَالَكُمْ إِلَى بَلْدِهِ لَمْ تَكُونُوا بِنَلِيَّهِ إِلَّا  
بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ، وَالْغَيْلَ وَالْغَيْالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةٌ وَيَخْلُقُ مَا لَا  
تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((لَا تَسْبُوا الْدِيْكَ، فَإِنَّهُ يَدْعُو لِلصَّلَاةِ)), وَفِي  
هَذَا النَّهِيِّ عَنِ سِبَابِ الْحَيَوانِ أَخْلَاقُ عَالِيَّةٍ، تَجْعَلُ لِهَذَا الْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ مَسَاحَةً مِنِ  
الاحْتِرَامِ فِي الْحَيَاةِ، وَتَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى الرَّفْقِ بِهِ وَتَجْنِبُ إِيَّاهُ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الإِسْلَامُ  
أَسْبُقَ الدَّاعِينَ إِلَى الرَّفْقِ بِالْحَيَوانِ، وَلَيْسَ هَذَا فَقْطُ، بَلْ إِنَّ السَّبِّ يَتَرَفَّعُ عَنْهُ الْمُسْلِمُ فِي كُلِّ

مَظَهِرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ، وَفِي كُلِّ مَوْقِفٍ مِنْ مَوَاقِفِهَا، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيحَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ((لَا تَلْعَنِ الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، مَنْ لَعَنْ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ، رَجَعَتِ الْغُنَّةُ عَلَيْهِ)), وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ فَقَالَ: ((مَالِكٌ تُزْفَرُ فِينِ؟)) أَيْ تَرْتَدِينَ، قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ ﷺ: ((لَا تَسْبِي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ الْخَبِثَ)).

فَانْتَقُوا اللَّهَ - عَبَادَ اللَّهَ -، وَاجْتَبُوا فَاحْشَ القَوْلَ وَبَذَاءَةَ اللِّسَانِ، وَجَاهُدو أَنْفُسَكُمْ عِنْدَ الغَضَبِ؛ فَلَا تَتَكَلَّمُوا بِمَا يُغضِبُ الرَّبَّ، وَرَبُّوا عَلَى ذَلِكَ أَبْنَاءَكُمْ حَتَّى يَنْشَأُوا مُؤْمِنِينَ مُخْلِصِينَ، زَكِيَّةً نُفُوسُهُمْ، طَاهِرَةً لِسِنَتُهُمْ مِنْ هُجُرِ الْمَقَالِ وَمَفَاسِدِ الْكَلَامِ، ﴿وَأَنَّتُقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

هَذَا وَصَلُوْا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَبَّلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلُّ وَسِّلْمُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقْرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

(١) سورة البقرة / ٢٨١ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالنُّقْيٰ وَالْعَفَافَ وَالْغَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًا مِنَ لَسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَائِشًا مُنْبِيًّا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَبِيعًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعْزِ إِلِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقُهُمْ، وَاجْمَعْ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاکْسِرْ شُوَكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبْ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَاعْزِ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقَنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،  
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي  
ثِمَارِنَا وَزَرْوُعِنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابُ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ  
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ  
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.